تقرير نائب القنصل البريطاني في جدة الدكتور عبد الرزاق عن موسم حج سنة ١٨٨٦م

ترجمة



د. هاني زامل مهنا العبدلي

أستاذ مشارك التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الملك عبد العزيز
جدة – المملكة العربية السعودية

تقرير رقم (Fo 195/1583 236571)
مكتب المحفوظات العامة (P.R.O)
بريطانيا: لندن، (مارس، ١٨٨٧م)

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

تقرير نائب القنصل البريطاني في جدة الدكتور عبد الرزاق عن موسم حج سنة ١٨٨٦م/ ترجمة: هاني زامل مهنا العبدلي.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس والعشرون؛ ديسمبر ٢٠١٤. ص–.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

الحج إلى الأراضي المقدسة في موسم ١٨٨٦

مع مغادرة آخر دفعة من الحجاج الهنود على السفينة إس.إس عدوة في ٢٥ يناير في العام الماضي (١٨٨٦م) في طريق عودتهم لبومباي، يكون موسم حج سنة ١٨٨٦م قد انتهى. لا توجد ملاحظات جوهرية خلال موسم هذا الحج فيما يتعلق بالحالة الصحية، التي كانت جيدة بصفة عامة فيما عدا الإصابة ببعض الأمراض العادية، التي ترجع في أسبابها إلى سوء التغذية.

كلاً من جدة ومكة كانتا تكنس وتنظف شوارعها بصفة دائمة، خلال موسم الحج، ومن العجيب أن منى لم تكن بالقذارة والتلوث الذي كانت عليه في الأعوام السابقة. إذ على غير العادة ظهرت في هذا الموسم نظيفة، وعلى الرغم من وجود خزانات المياه التي كان قد تبرع لبنائها رجل الإحسان الهندي، إلا أنها كانت مخربة وجافة، وكانت عرضة لاستخدام الأفراد الذين انتشروا حولها بحرية تامة، استجابة لطبيعتهم البشرية، وهذا أدى إلى تسرب نفايات قذرة وسامة إلى أماكن كبيرة، فيما عدا ذلك كان الوضع مرتبًا ونظيفًا مقارنة بالأعوام السابقة.

على الرغم من وصول عارف بك -عضو مجلس الصحة بالقسطنطينية- في حج هذا العام في جولة تفقدية للأماكن المقدسة مما كان له أثره الكبير في تحسين الأوضاع الصحية في الأماكن المقدسة، إلا أن الفضل أيضًا يعود إلى الدكتور نوري المسؤول المحلي عن النواحي الصحية في تحسين الأوضاع الصحية في مكة ومنى.

في بلاد جافة رملية كالحجاز، وعلى وجه الخصوص في أماكن مفضلة مثل مكة ومنى، حيث سريعًا ما تجف السوائل وتمتص من الرمال أو تتبخر بفعل الحرارة، فإن موضوع الحفاظ على الحالة الصحية ليس أمرًا صعبًا، ولا شك أن الخبرة التي تكونت من تجربة موسم هذا العام قد أوضحت للسلطات المحلية والطبية كيف أنه يمكن ببعض الجهد، وباتباع القواعد الطبية الوقائية الابتدائية يمكن تحسين الأوضاع الصحية في الأماكن المذكورة لصالح آلاف الحجاج الذين يأتون كل عام لهذه البلاد، إضافةً إلى السكان المحليين. ومن المأمول ألا تُهمل في المستقبل التنظيمات التي تم القيام بها والتي جاءت بنتائج صحية جيدة، انعكس أثرها على الوضع الصحي العام، ونأمل أن يحافظ على هذه التنظيمات مستقبلاً، حيث أن كل بيت في مكة ومنى وصل إلى حد الاختناق.

صادف يوم الحج الثامن من سبتمبر١٨٨٦م وقد تركت مكة متوجهًا لعرفات في اليوم السابع بغرض تأمين مكان جيد للمخيم. كان اليوم غائمًا، ولم تكن درجة الحرارة شديدة، على الرغم من أن ميزان الحرارة كان يشير إلى (٩٥) درجة فهرنهايت. عندما وصلنا إلى عرفات وقت الغسق. كانت آلاف الخيام تنتشر في السهل الواسع والضوء يلمع في كل مكان. حالما بدأنا في تثبيت الخيام هبت عاصفة رملية استمرت ما يقرب من خمس دقائق تبعها مطير خفيف. على أية حال؛ بعد ربع ساعة كان كل ذلك قد انتهى، وكان لذلك أثره في تهدئة الرمال، وتبريد (اعتدال) الطقس في المكان بصفة عامة.

في اليوم التالي، يوم الحج، كان الجو حار جدًا حيث بلغت درجة الحرارة في الصباح (٨٦) درجة فهرنهايت، وفي الساعة ١١ ظهرًا بلغت (٩٥) درجة فهرنهايت وفي الساعة ١٢ ظهرًا بلغت (١٠٠) درجة فهرنهايت، وفي الساعة ٤ عصرًا بلغت (٩٥) درجة فهرنهايت.

كانت هناك كميات وافرة من المياه النقية في عرفات إذ سحبت مياه عين زبيدة لتجري خلال وادي عرفات، وكانت هناك عدد من الصهاريج الكبيرة التي ملئت بمياه العين قبل يوم الحج بوقت قصير. وكان كل صهريج يحرسه عسكريين أو ثلاثة لمنع الناس من تلويثها، وعلى الرغم من نجاحهم في تحقيق ذلك بدون توقف، فإنه بالإمكان، على كل حال، تحقيق ذلك بمضاعفة عدد الحراس، الأمر يعتبر خطوة في غاية الأهمية باعتبار توقف صحة آلاف من الناس على نقاء الماء المتوفر وجودته.

تركنا عرفات بعد غروب الشمس، وصلنا منى في الساعة الثانية صباحًا، بعد توقف مؤقت كما هي العادة في مزدلفة لمدة ساعة. كانت الثلاثة ليالي التي قضيناها في منى باردة مقارنةً بعرفات، وكانت درجات الحرارة كالتالي:

الأيام	الصباح	الظهيرة	الساعة الثالثة بعد الظهر	الساعة الرابعة
اليوم الأول	٨٦ فهرنهايت	٩٨ فهرنهايت	٩٩ فهرنهايت	----
اليوم الثاني	٨٥ فهرنهايت	٩٨ فهرنهايت	---	٩٧ فهرنهايت
اليوم الثالث	٨٧ فهرنهايت	٩٧ فهرنهايت	-----	٩٨ فهرنهايت

عند الساعة الثالثة بعد الظهر في اليوم الأول ارتفعت درجة الحرارة لتصل إلى (٩٩) درجة فهرنهايت، تبعها بعد نصف ساعة عاصفة رملية، وقليل من المطر، ثم انخفضت درجة الحرارة لتصل إلى (٨٥) درجة فهرنهايت الساعة الرابعة عصرًا.

كان المبلغ الكبير الذي وضعه نواب من رامبور سنة ١٨٨٤م في يد حاكم عام الحجاز قد خُصص من قبله لجلب المياه إلى منى عن طريق مد فرع لعين زبيدة لهذا المكان، وإنه من الجيد أن نرى في هذا العام صهاريج ملئًا بالمياه النقية منتصبة في وسط وادي منى ومنها تزود الآلاف بالمياه النقية.

بلغ طول الخزان حوالي (٧٠) قدمًا، وعرض (٢٥) قدم، وبارتفاع قدره (١٢) قدمًا، وكانت الجدران دائرية من كل جانب، والمنطقة الداخلية (المتوسطة) بين الفتحات بنيت كذلك مما جعل الجوانب قوية، وتم تقوية الأخيرة بحزام حديديًا تجاه الأعلى. كان هناك ثمانية أقواس بطول الخزان وثلاثة أقواس بعرض الخزان، وكان أمام كل قوس حوض مياه صغير مستطيل يبلغ ارتفاعه ثلاثة أقدام ويخرج من الجدار في منتصف الحوض محبس إيقاف يمكن التحكم بانسياب المياه به، وقد ثبت كل محبس في وسط فجوة مستطيلة في الحائط المغطى بباب من الحديد يغلق بقفل ومفتاح بعد انقضاء الثلاثة أيام التي يقضيها الحجيج في منى لتكون آمنة من عبث أو سرقة البدو.

ويتصل بهذا الخزان، على مسافة قريبة منه خزان آخر صغير مؤقت (١٠ x ٤ قدم) بارتفاع حوالي (٣) أقدام عن مستوى سطح الأرض، وهذا كان أيضًا يملأ من نفس مياه العين، ولكن نظرًا لقربه من الأرض (انخفاضه) وسهولة الوصول إليه سرعان ما تتعكر مياهه، فتصبح طينية.

وبغض النظر عما أشير إليه، فليس هناك مجال للنقاش أن خزانًا واحدًا كالمشار إليه يظل غير كاف، وأن كان وجوده خير من عدمه، لتلبية احتياجات هذا التجمع الكبير من البشر في منى في وقت الحج وتزويدهم بالمياه النقية، وعلى الأقل إن وجود خزانين إضافيين مشابهين للسابق أمر ضروري.

لقد بلغني أن الميزانية المتوفرة لا تكفي لأي تمديدات أخرى، لأن المياه كان يتم جلبها من مناطق بعيدة، وفي أحد كان لابد من استخدام وتركيب مضخة بخارية، لرفع المياه إلى منى لارتفاع موقعها عن موقع فرع عين زبيدة في الوادي الموصل لمنى من مكة. إن عمل كهذا تم بفضل تطوع الأمير الهندي النبيل، وقد لاقى عمله تعاطفًا كبيرًا، ولعل السنوات القادمة يتمم هذا العمل كرام آخرون، وليس هناك أن مَنْ زار منى في حج هذا العام وتعرف على فوائد توفير المياه النقية فيها سينقل أحسن الانطباع لبقاع العالم الإسلامي، وعلى الأرجح سيحفز ذلك آخرون من أثرياء العالم الإسلامي ليقدموا هباتهم لإكمال هذا العمل الذي هو على وشك الانتهاء.

خلال توقف الحجاج في مكة قبل مغادرتهم للمدينة كانت درجات الحرارة في المكان الأول (مكة) مرتفعة جدًا، وكانت درجات الحرارة اليومية في الظل كما لاحظتها ودونتها في الجدول اللاحق سترى الحالة التي كان عليها الحجاج، خاصةً أولئك الذين كانوا من المناطق الغربية الباردة، في مدينة تقع في وادي ضيق حيث أثر الحرارة يزداد بفعل الهضاب والتلال المحيطة. ولكن لحسن الحظ لم تتأثر الحالة الصحية للحجاج بذلك في ذلك الوقت على الرغم من سماعنا عن حالات ضربات الشمس في الشهور الثلاثة الماضية.

معدل درجات الحرارة اليومية في مكة من ١٢- ٢٠ سبتمبر ١٨٨٦م				
سنة ١٨٨٦م	الساعة ٦ صباحًا	الظهيرة	الساعة ٤ عصرًا	الحالة الجوية
١٢ سبتمبر	٨٥ درجة فهرنهايت	١٠٠ درجة فهرنهايت	٩٧ درجة فهرنهايت	
١٣ سبتمبر	٨٥	٩٩	٩٤	
١٤ سبتمبر	٨٥	٩٥	٩٤	
١٥ سبتمبر	٨٧	٩٨	١٠٠	
١٦ سبتمبر	٩٠	٩٩	٨٦	ممطرة الساعة ٤
١٧ سبتمبر	٩٠	٩٩	١٠٠	
١٨ سبتمبر	٨٧	٩٩	١٠٠	
١٩ سبتمبر	٨٨	١٠٠	١٠٠	
٢٠ سبتمبر	٩٧	١٠٠	١٠٠	

كان الحج في العام الماضي هو الحج الأكبر، لذلك كان عدد الحجاج أكبر، إذ أن حج هذا العام كان حجًا اعتياديًا، فكان عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات حوالي (٨٠٠٠٠) حاج فقط، لكن الرقم يظل أكبر من الأرقام التي سجلتها مواسم ١٨٨٣، ١٨٨٤م ويعود ذلك بصفة أساسية لكثرة الحجاج المصريين، والأتراك، والمغاربة المشاركين في حج هذا العام.

بلغ عدد الحجاج الذين وصلوا عن طريق البحر (٤٢,٣٧٤) وبصرف النظر عن عدد حجاج البحر للعام الماضي، فإن حجاج بحر هذا العام أكبر من أعدادهم في الخمس سنوات الماضية التي كنت فيها هنا، يوضح الجدول التالي هذه الأعداد:

السنة	الواصلون بحرًا
١٨٨٢م	٢٥,٥٨٠
١٨٨٣م	٢٧,٢٦٣
١٨٨٤م	٣١,١٥٧
١٨٨٥م	٥٢,٠١٠ الحج الأكبر
١٨٨٦م	٤٢,٣٧٤

بلغ عدد الحجاج الهنود (يدخل تحت هذا المسمى كل الذين كانوا على ظهر السفن القادمة من الموانئ الهندية) الذين قدموا لموسم هذا الحج وتضمنهم التقرير(٩٤٧٩) بينما كان عددهم في العام الماضي (٨٣١٨) على الرغم من كونه الحج الأكبر، وعلى الرغم من أن العدد للحجاج الهنود أكبر من أعدادهم في العامين الماضيين، إلا أنه يظل أقل من أعدادهم سنة ١٨٨٢، وسنة ١٨٨٣م. يوضح الجدول التالي هذه الأعداد:

السنة	الواصلون
١٨٨٢	٩٦٣٠
١٨٨٣	١٠١٤٦
١٨٨٤	٩٢٦٢
١٨٨٥	٨٣١٨
١٨٨٦	٩٤٧٩

كان عدد السفن البخارية والقوارب العادية التي وصلت محملة بالحجاج في هذا العام من الشمال ومن الجنوب (١٣٠) سفينة إلى جانب كان هناك عدد (٦٢) سمبوك (أو مراكب العرب المحلية) والتي أحضرت عددًا جيدًا من الحجاج. (الملحق التالي عبارة عن قائمة توضح جنسية السفينة، والحجاج، والنظام الذي قدموا بموجبه، وعدد الركاب على ظهر كل سفينة). كالعادة كانت قوائم الحجاج المسلمة من كل سفينة قادمة من بومباي غير مكتملة، وبمقارنة هذه القوائم مع مثيلاتها المسلمة من مركز الحجر الصحي لا تتطابق واحدة منها مع الأعداد الحقيقية للحجاج الذين وصلوا، كما سيوضح ذلك الجدول التالي:

علمية. عالمية. مُحكَمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

اسم السفينة	تاريخ الوصول	الأعداد حسب القائمة	الأعداد حسب قائمة القبطان	الأعداد حسب الأطباء	أعداد الحجاج الواصلين حقيقة
إس إس أدريا	١٦ مارس/٨٦م	٢٨١	٣٠٩	٢٠٩	٣٠٩
إس إس سيل	٨مايو ٨٦ م	٣٥٨	٣٦٤	٣٤١	٤٠٦
إس إس موبايل	٢٢ يونيو	١٩٨	٥٣٥	٠	٦٨٦
إس إس بنجلور	٢٦ يونيو	٩٧٩	١٠٤٠	٩٧٣	١٠٤٠
إس إس سومترا	١٠ يوليو	٨٣٧	١٠٣٧	١٠١٢	١٠٣٢
إس إس بنجلور	١٩ اغسطس	٨٥٨	١١٥٨	٩٧٣	١١٩٢
إس إس بشوا	٢٥ اغسطس	٧٧٠	٨٣٠	٨٢٥	٨٤٥
إس إس امبرس	٢٩ اغسطس	٦٤٣	١١٢٠	٠	١١٢٠
إس إس سومترا	٣٠ اغسطس	٨٧٧	غير معروف	١٠٥٨	١٠٢٨
إس إس انجلو-اندين	٣٠ اغسطس	٦٣٣	٨٠٢	٠	٨٠٢
المجموع الكلي		٦٤٣٤			٨٣٢٠
الفرق بين العددين ١٨٨٦					

يلاحظ أن الفرق الذي ظهر أعلاه كبير، علمًا بأنه فقط عشر قوائم أسماء صدرت في بومباي واستلمناها. هنالك ملاحظة كتبت في آخر قائمة السفينة إس إس سومترا والتي وصلت إلى هنا في أول شهر يوليو ١٨٨٦م كتبها أحد الموظفين، تقول: "كان من المفروض أن يكون على ظهر هذه السفينة عدد (٩٩٢) حاج، ولكن العدد أقل لضيق الوقت الذي لم يمكن من إصدار الجوازات أو أوراق مرور لبعض الحجاج". القوائم التي سلمت من السفينة سومترا والسفينة انجلو-اندين في ٣٠ أغسطس١٨٨٦م كذلك كانت تحتوي على ملاحظات مماثلة.

إن هذا الاختلاف ربما يظهر أنه لم يكن هناك تنسيق بين مكتب رعاية الحجاج ومكاتب السفن المختلفة في بومباي (مكاتب السفريات) ليعملا معًا بتجانس، والذي ربما أدى إلى عدم اكتمال هذه القوائم. في القوائم التي أحضرتها السفينة إس إس بنجلور في ١٩ أغسطس والسفينة اس اس سومترا في ٣٠ غسطس ١٨٨٦م كان عدد تصاريح العبور وجوازات السفر متداخلة مع بعضها البعض في العمودين المخصصان لهما في التقرير، ولعل ذلك نشأ بسبب الاستعجال في التدوين مما قد يكون مضللاً في دلالاته.

جدول يوضح عدد السفن القادمة من الموانئ الهندية حاملة حجاج والتي لم تحضر قوائم على الإطلاق:

اسم السفينة	ميناء المغادرة	تاريخ الوصول	عدد الحجاج بالسفينة
نذر لاند اورانج اس اس	بومباي	٨ أكتوبر ١٨٨٥م	٦٥٩
طايف اس اس	بومباي	٧ يناير	٩٧
كاسل هل بي	بومباي	١٠ يوليو ١٨٨٦م	٦٤
روز شيب بي	كالكتا	٢١ مارس ١٨٨٦م	٦٦
نواشيرا بي	كالكتا	٣١ مارس ١٨٨٦م	٦٠
فتح الباري بي	كالكتا	٢٢ ابريل ١٨٨٦م	٢١
بيري ؟ العتمان اس اس	كالكتا	٢٣ ابريل ١٨٨٦م	٣٥
نور سينا عثمان	كالكتا	٢٣ ابريل ١٨٨٦م	٢٧
امانت الرحمن اس	اليبي ؟	٢٣ ابريل ١٨٨٦م	١٦
اوفير بي	كالكتا	٢٣ ابريل ١٨٨٦ م	٣٠
عطية الرحمن	كالكتا	٢٣ ابريل ١٨٨٦ م	٣٢
فانتونا اس اس	كالكتا	٧ مايو ١٨٨٦م	٦٦
فلورا	عدن	١٦ مايو ١٨٨٦م	٤٨
جريت النمسا اس اس	عدن	٢١ مايو ١٨٨٦م	٣٢
الزقازيق اس اس	عدن	٥ يونيو ١٨٨٦م	١٢
جريت النمسا اس اس	عدن	٢١ يونيو ١٨٨٦م	١٩
امبريس اوف انديا بي	كاكتا	٣٠ مايو ١٨٨٦م	٢٧٦
فالينت اس في	كاكتا	١ يوليو ١٨٨٦م	٢٨
كنج آرثر بي	بومباي	١٠ ابريل ١٨٨٦م	٦٤
كوهي نور اس اس	كالكتا	٢٧ ابريل ١٨٨٦م	٥٦٦
عدوا اس اس	بومباي	٢٩ ابريل ١٨٨٦م	٣٩
المجموع			٢٢٥٧

علمية. عالمية. مُحكمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

إن السفن التي بدأت رحلتها من الموانئ الهندية، عدا بومباي، لم تحضر قوائم للمسافرين، وعندما تأتي السفينة البخارية من بومباي مارة بكراتشي فإن الركاب الملتحقون في كراتشي عادةً لا تضمن أسماءهم في القائمة التي يحضرها القبطان من الميناء الأسبق (بومباي)، ولا تحضر قائمة جديدة من الميناء اللاحق (كراتشي)، وكذلك الحال مع ميناء عدن. وهنا لابد لي من الإشادة باسم قبطان السفينة اس اس موبايل الذي يعد استثناء عما ذكر أعلاه إذ أصدر قوائم كاملة بكل الركاب الذين كانوا على ظهر السفينة. وكان الهدف من إعداد هذه القوائم التي أعدها هو إعطاء معلومات عن:

١- عدد الحجاج الذين قدموا من الموانئ الهندية من جميع الجنسيات على ظهر كل سفينة.

٢- العدد الحقيقي للحجاج الهنود.

٣- لإنشاء سجل للحجاج الهنود (في القنصلية) في حالة الاستفسارات والإحالات.

إذا كانت القوائم كاملة، فإن تحقيق الهدف ميسور، وعدم توفرها سيؤدي إلى إضاعة الوقت.

كان إجمالي عدد الحجاج الذين تضمنتهم القائمة التي تسلمتها هو (٦٤٣٤) حاج منهم كان هناك (٤٢٦٩) حاج هندي، والباقون وعددهم (٢١٦٥) حاج من جنسيات أخرى كما يوضح الجدول التالي:

اسم السفينة	عدد الحجاج الهنود	عدد الحجاج غير الهنود	مجموع عدد الحجاج
اس اس ادريا	٢١٥	٦٦	٢٨١
اس اس الطائف	٣١٨	٤٠	٣٥٨
اس اس موبايل	١٧٩	١٩	١٩٨
اس اس بنجلور	٨٦٥	١١٤	٩٧٩
اس اس سومترا	١٠٥	٧٣٢	٨٣٧
اس اس بنجلور	٦٩٨	١٦٠	٨٥٨
اس اس بيشوا	٣٦٧	٤٠٣	٧٧٠
اس اس امبريس اوف انديا	٥٨٣	٦٠	٦٤٣
اس اس سومترا	٥٢٠	٣٥٧	٨٧٧
اي اس انجلو-اندين	٤١٩	٢١٤	٦٣٣
المجموع لكل فئة	٤٢٦٩	٢١٦٥	٦٤٣٤

كان لعدم شمولية قوائم الحجاج، وعدم إضافة قوائم جديدة بالحجاج الذين التحقوا بالسفن من موانئ هندية أخرى على الطريق، وكذلك لأننا لا نحن ولا سلطات الميناء في بومباي وغيرها من الموانئ نستطيع أن نعرف العدد الدقيق والصحيح لعد الحجاج الهنود وغير الهنود الذين يقدمون للحج كل موسم، ولذلك يبدوا أنه من الضروري لعمل ترتيبات أفضل لتسجيل الحجاج الذين يصعدون على ظهر كل سفينة، من بومباي والموانئ الأخرى، وجعل مهمة إصدار قائمة متكاملة لركاب السفينة أمرًا إجباريًا على كل قبطان سفينة حال وصوله لهذا الميناء (جدة). ومن المحتمل أن الترتيبات التي ستنتهجها شركة كوك آند سون (cook & son) هذا العام يمكن الوصول لمعرفة العدد الصحيح للحجاج الهنود وغيرهم في المستقبل.

إن عدد الجوازات التي جمعتها من الحجاج الهنود في هذا الموسم بلغ (٣٤٢٤). ويتضح أنه من بين (٤٢٦٩) جواز أصدروا في أماكن مختلفة في الهند جمعنا فقط (٣٢٢٤) بينما (١٠٤٥) جواز لم تكن متوفرة. إذا كان بالإمكان جمع جوازات السفر من الحجاج قبل مغادرتهم السفن التي جاءوا عليها، ستخفض عدد الجوازات المفقودة، ولكن وجد أن جمع الجوازات قبل مغادرة الحجاج السفن كان أمرًا غير عملي. لأن الأمر لا يتوقف على استعجال الحجاج بالنزول فقط، بل أن رجال القوارب يقفزون داخل السفينة من كل جانب، ويبدؤون في حمل أمتعة الحجاج دون الاهتمام بأصحابها لأنهم يعرفون أن هؤلاء الحجاج بالتأكيد سيتبعونهم، وخلال الضجيج وفوضى البحث عن الأمتعة، وفي غياب ترتيبات التجمع يصبح من المستحيل الدعوة لتجميع الجوازات من الحجاج في هذا الوقت.

علمية. عالمية. مُحكَمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449